كلية العلوم الاسلامية/ قسم الدراسات الاسلامية

الدراسات العليا/ الدكتوراه

تجديد الفكر الاسلامي

أ.م.د. محمد خالد مصطفى الكردي

السنة الدراسية: 2023 - 2024

الفكر الإسلامي
مفهومه وما يتعلق به

تعريف الفكر الإسلامي لغة واصطلاحاً:

إذا أردنا أن نعرف ما مفهوم الفكر الإسلامي لابد أن نشرع في تعريف الفكر أولاً ، ثم بعد ذلك نتناول تعريف الفكر الإسلامي .

أولاً: تعريف الفكر لغة واصطلاحاً:

الفكر لغة: بكسر الفاء أو فتحها ، إعمال النظر في الشيء، أو إعمال الخاطر في الشيء وهو العقل ، وقيل: هو تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً والجمع أفكار ، والتفكّر هو التأمل.

أما الفكر في الاصطلاح: فله معنيان، أحدهما خاص والثاني عام.

فالمعنى الخاص: هو أعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. والمعنى العام: يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ومناط الفكر هو العقل والعقل: (هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات)، وعرّف بأنه: (جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات المشاهدة. والتفكير: (هو) نقل الحسّ بالواقع، إلى الدماغ بواسطة الحواس، ووجود معلومات سابقة يُفسر بواسطتها هذا الواقع). فلا يمكن أن يكون هنالك تفكير في قضية ما إلا بوجود أربعة أشياء :

أ- دماغ إنسان ب واقع محسوس ج- الحواس السليمة د - المعلومات أو المعرفة الأولية السابقة.

فالواقع ينتقل بما له من صفات بواسطة الحواس إلى الدماغ ، والدماغ يربط بين المعاني والمحسوسات، معتمداً على المعلومات الأولية السابقة، ثم بعد ذلك يُصدر حكمه على الواقع وذلك الحكم يسمى (فكراً) ، وبإصدار الحكم تكون عملية التفكير، وبدون وجود معلومات سابقة لا يمكن أن يحصل التفكير.

ثانياً : الفكر الإسلامي:

مفهوم الفكر الإسلامي من المفاهيم التي تناولها العلماء بالبحث، ودارت حول هذا المصطلح عدة تعريفات ومفاهيم نذكر منها:

الفكر الإسلامي: (هو كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم، في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً).

ويعني كذلك: (المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول إلى جوار ربه لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه).

وقال عنه بعضهم: (هو المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام في مصادره الأصلية ، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، إما تفقهاً واستنباطاً لأحكام دينية، وإما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه وبين الأفكار الأجنبية، وإما دفاعاً عن العقائد الصحيحة أو رد العقائد المنحرفة).

وابرز ما جاء في التعريفات السابقة عدة أمور منها:

1- **إعمال العقل في محاولة فهم الدين الإسلامي.**

2- **الاعتماد على النصوص الشرعية والمبادئ الإسلامية.**

3- **استنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأصلية والسعي لحل المشاكل الطارئة التي تواجه الدين الإسلامي.**

4- **عرض الدين الإسلامي وتبليغه وفق ذلك الفهم.**

فنجد أن إعمال العقل هو أحد أركان الفكر الإسلامي، وإعمال العقل لا يعني إطلاق العنان للعقل في تحديد الضوابط الإسلامية ومعالم الدين الإسلامي، وإنما إعمال العقل يكون منضبطاً بالمصادر الأصلية الإسلامية، وحدود الثوابت الشرعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالدين الإسلامي دين قطعي لا مجال للعقل فيه من حيث إضافة شيء عليه أو حذف شيء منه أو تغيير أو تبديل أو نحو ذلك، وما مجال العقل فيه إلا فهم ذلك الدين، وإفهامه للناس.

التأصيل القرآني للفكر:

لقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدة مواضع بصيغة الفعل، منها:

أ. **(وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون).**

ب. **(إنه فكر وقدر).**

ت. **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون).**

يكون الفكر إسلامياً في الحالات الآتية:

1. **عندما يكون المفكر مؤمناً بالإسلام ومقتنعاً بمبادئه.**
2. **عندما يجعل المسلم فكره في المصادر الاسلامية، ويكون نتاجه الفكري مؤسساً على هذه المصادر، والتي هي الأصول.**

3. **عندما يجعل المسلم فكره في المصادر غير الاسلامية، ولكنه يستند في تقييمه وأحكامه ومواقفه إلى أساسيات الاسلام عقيدة وشريعة.**

وعليه لا يكون فهم المستشرقين الدارسين للإسلام، ولا استنباطاتهم، ولا أحكامهم. فكراً إسلامياً. وكذلك لا يعتبر فكر المسلمين المتأثرين بأصول الفلسفات غير الإسلامية فكراً اسلامياً.

<u>مصادر الفكر الإسلامي:</u>

الفكر الإسلامي فكر نابع من تعاليم الإسلام ، وسبق أن بينا أن كل فكر لابد من أن تتوفر فيه المعلومات الأساسية الأولية قبل التفكير، ومن الضروري أن تكون تلك المعلومات معلومات إسلامية، فيما إذا كان ذلك الفكر فكراً إسلامياً.

لذلك يجب اعتماد المصادر الإسلامية الأصلية لمشروعية الفكر الإسلامي، وإلا لما كان ذلك الفكر فكراً إسلامياً، والمصدران الأساسيان للفكر الإسلامي هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولاً: القرآن الكريم.

(وهو هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب بالمصاحف ، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس).

ثانياً : السنة النبوية.

وهي: (ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية).

وتعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر الفكر الإسلامي قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ) سورة النحل ، من الآية : 44 والسنة النبوية من حيث وجوب العمل بها ، ومن حيث إنها وحي ، هي بمنزلة القرآن الكريم ، وإنما تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار؛ لأنه مقطوع به جملة وتفصيلاً، قال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

فالقرآن الكريم والسنة النبوية مصدران أساسيان للفكر الإسلامي متلازمان لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة الإسلامية فهماً تاماً إلا بالرجوع إليهما معاً ، ولا غنى لمجتهد أو عالم من أحدهما دون الآخر

ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يفتح المجال الواسع لحركة العقل الإنساني . ويظهر هذا واضحاً عندما نجد أنه أحياناً لا يقدم نصوصاً قاطعة الدلالة في مسائل كثيرة ، بل تأتي النصوص مرنة أو عامة ، أو ذات مقاصد كلية، وهذا ما يجعل القرآن الكريم صالحاً لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

وهذا الواقع القرآني وبجانبه السنة النبوية دفع علماء الإسلام إلى إعمال فكرهم في مجالين فضلاً عن فهم النصوص القاطعة:

<u>أولهما</u>: في مجال الاجتهاد في تفسير القضايا التي لم تقرر بنصوص قاطعة لا في الكتاب ولا في السنة.

<u>ثانيهما</u>: في مجال القضايا والمسائل التي لم يتطرقا إليهما ألبتة - أي القرآن والسنة النبوية -.

وهناك من عد مصادر أخرى للفكر الإسلامي غير القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولكن ليس من الناحية التأصيلية وإنما من حيثيات أخرى ، ومنها:

1. **الحضارات الأجنبية:**

والمراد بها الاحتكاك الحاصل بين الثقافة الإسلامية وثقافة الحضارات الأخرى، مما أدى إلى أن تتسرب تلك الأفكار المنحرفة إلى البيئة الإسلامية فأفسدتها وأفرزت سمومها وانتهت إلى ظهور تيارات وفرق فكرية منحرفة.

وسواء كان ذلك التأثر سلبياً أم إيجابياً، ومن حيث مناقشة تلك الفرق وإبطال شبههم، حصلت هناك بيئة خصبة لأعمال الفكر في هذا المجال.

فالحضارات الأجنبية لا تعد مصدراً من مصادر الفكر الإسلامي من الناحية التأصيلية، بل تعد مصدرا من ناحية أنها أحد العوامل التي ساعدت على نشوء الفكر الإسلامي.

2. المصادر الاجتهادية:

كالإجماع ، والقياس ، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، والذرائع أو سد الذرائع.

3. القواعد الفقهية والأصولية:

وهذان المصدران الأخيران هما نتيجة للتفكير الإسلامي؛ لأن صاحب الإجماع أو القياس أو الاستحسان أو نحوه، قد اعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية في الاجتهاد أو الاستنباط للوصول إلى الحكم ، فما قام به ما هو إلا من باب التفكير في الدليل واستنباط الحكم منه، وقياس ما لا نص فيه على ما فيه نص.

وأما مسألة اعتماد المتأخر على الإجماع أو القياس أو غيرهما فهو اعتماد الفكر على الفكر المستمد من النصوص والضوابط الشرعية.

وعلى هذا يكون نتاج علماء الإسلام - من الفقهاء والمفسرين وكل من يشتغل بالعلوم الإسلامية على مدى القرون الماضية من مصنفات ومناقشات ونظم وقواعد وأفكار ، كل هذا يعد رافدا للفكر الإسلامي ومصدرا له، مع الإشارة إلى أن المصدرية الأساسية لكل ذلك ترجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المصدران الأساسيان للفكر الإسلامي،

وعندما نقيّد مصادر الفكر الإسلامي بالقرآن الكريم والسنة النبوية، إنما نقصد بذلك الفكر الإسلامي السليم غير المنحرف، وذلك لأن القرآن الكريم والسنة النبوية وحي إلهي دون ما سواهما من المصادر.

الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي:

مع وجود علاقة بين الإسلام والفكر الإسلامي، إلا انه يوجد هناك فرق بينهما، وهو كما يأتي:

- **الفكر الإسلامي مُستحدث ويخضع لقانون التطوّر والفهم المعاصر، ولعوامل الاضمحلال ، أما الإسلام فله كتاب (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) سورة فصلت ، الآية : 42.**
- **الفكر غير معصوم عن الخطأ والوهن، والإسلام معصوم عن ذلك كله.**
- **الفكر الإسلامي لا تجب الطاعة له، إلا بقدر ما فيه من تمثيل لكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأنه فهم يخضع للنقد والمخالفة.**

فالفكر الإسلامي ليس هو الإسلام نفسه من حيث هو وحي إلهي ثابت في مصدرية المعصومين، ولذلك فإن ذلك الفكر ليس له عصمة الإسلام نفسه، ويجب ألا يخلط به، لأن خلطه قد يؤدي إلى إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي، والمراد بالإسلام هنا: الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة أو قام عليه الدليل اليقيني ، فهو الوحي الإلهي المنزل على رسوله محمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد يهدد الفكر العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي إذا سلك اتجاهات منحرفة ومن ابرز تلك الاتجاهات هي:

أولاً: الاعتماد على العقل المستقل دون تقييده بالضوابط الشرعية.

ثانياً: الاعتماد على الاتصال الروحي ، كادعاء الالوهية أو النبوة أو ادعاء علم الغيب ونحو ذلك.

ثالثاً: الاعتماد على العلم فقط، والمقصود بالعلم هنا هو (العلم التجريبي)، وفقاً للاصطلاحات الحديثة.

فلا يصح أن يوصف بأنه إسلامي إذا كان معتمداً في منهجيته على أحد هذه التيارات، وإن كان قد الصق بنفسه صفة الإسلام وهناك من يشرك الفكر الإسلامي مع مسميات أخرى كالثقافة الإسلامية، أو الدين الإسلامي، أو الحضارة الإسلامية، أو النظام الإسلامي. والواقع أنها مصطلحات يختلف بعضها عن بعض من حيث المفهوم والدلالة، مع وجود حلقات مشتركة بينها.

موضوعات الفكر الإسلامي:

تحديد موضوعات الفكر الإسلامي تتضح بتحديد تعامل الفكر الإسلامي مع العلوم الإسلامية وغير الإسلامية وهي كما يأتي:

أولاً: تعامل الفكر الإسلامي مع العلوم الإسلامية:

بما أن الفكر في هذا المجال يوصف بأنه إسلامي؛ لابد أن يشمل ذلك الفكر جميع موضوعات الدين الإسلامي من العلوم الشرعية والنظم الإسلامية، وأحكام التعاملات الخارجية والداخلية مع غير المسلمين فضلاً

عن أصحاب العقائد المنحرفة، على أن يكون مجال الفكر الإسلامي في هذا الجانب هو تعامل يشمل الفهم والإدراك للموضوعات الإسلامية ونظمها، ودراسة المستجدات وبيان أحكامها وفق الضوابط الشرعية الإسلامية.

ومن أبرز موضوعات الفكر الإسلامي هي:

1. العلوم الإسلامية وما يتعلق بها من النظم الإسلامية، ومساحة الفكر الإسلامي فيها تتعلق من جانب الفروع والمتغيرات وليس من جانب الأصول والثوابت، كالعلوم المتعلقة بمصادر الفكر الإسلامي من القرآن الكريم وعلومه، كالتفسير والإعجاز العلمي، والسنة النبوية وعلومها من حيث فهمها وإعمالها في استنباط الأحكام، وفروع العقيدة، والتشريع الإسلامي والعبادات والمعاملات، والدعوة الإسلامية ووسائلها، والنظام الأخلاقي، والتربوي، والاجتماعي، والاقتصادي، والقضائي ، والسياسي وغير ذلك.
2. التعامل مع التحديات الخارجية والمذاهب الهدامة.
3. آلية التعامل مع الشبهات التي تثار حول الإسلام وأهله.
4. قضايا العلم والإيمان أو القضايا العلمية المعاصرة.
5. المشكلات المعاصرة وكيفية التعامل معها.

وهذه المناهج الإسلامية والمسائل الأربع الأخيرة، مصنفة تحت مسميات العلوم والنظم الإسلامية ، فالفكر الإسلامي في هذا المجال هو ليس بإزاء واحد، بل هو بإزاء مناهج إسلامية عديدة، تشترك في إسلاميتها، لكنها تتمايز - دون أن تتغير أو - بتمايز مادة تلك العلوم الشرعية.

وعليه فإن الفكر الإسلامي يتعامل مع العلوم الإسلامية جميعها ، وصاحب الفكر الإسلامي يجب أن تكون له دراية بالعلوم الإسلامية لتكتمل حلقات التفكير الإسلامية . والفكر الإسلامي هو ليس بمعزل عن تلك العلوم.

ثانياً : تعامل الفكر الإسلامي مع العلوم الأخرى:

الدين الإسلامي بتعاليمه وأنظمته وعلومه ليس بمعزل عن العلوم الأخرى بل على العكس من ذلك، فهناك علوم يشترك في الاستفادة منها المسلم وغيره، كالطب والاقتصاد والإعلام والكيمياء وغيرها من العلوم، وتلك العلوم تسمى بالعلوم التجريبية ووصف تلك العلوم بأنها إسلامية - كما نجد في مسمى الاقتصاد الإسلامي أو الإعلام الإسلامي أو الاجتماع ونحو ذلك - يجب أن يخضع إلى ضبط تلك العلوم بحدود الدين الإسلامي وأسسه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لابد أن يكون المشتغل بتلك العلوم على دراية في الاختصاص العلمي التجريبي كعلم الاقتصاد أو الأعلام أو الاجتماع أو غيرهم ، فضلاً عن درايته بالعلوم الإسلامية حتى يتمكن من الجمع بين المجالين فصاحب الاقتصاد الإسلامي - مثلاً - لابد أن تكون له دراية في علم الاقتصاد ، مع درايته بالأحكام الشرعية الإسلامية ، حتى يكون العلم الذي يحمله يسمى بعلم الاقتصاد الإسلامي وكذلك صاحب الإعلام الإسلامي أو الاجتماع الإسلامي ونحو ذلك، فإن كان التعامل مع تلك العلوم على هذا الأساس، يمكن أن تدرج جوانب من تلك العلوم تحت الموضوعات التي تتعلق بالفكر الإسلامي.

أما إقحام تلك العلوم في الفكر الإسلامي، دون دراية في مبادئ تلك العلوم فقد يستلزم الخلط بين مجال ومجال آخر، وقد يجر ذلك الخلط إلى انزلاق المفكر في تصادم ظاهري وليس حقيقيا ، بين العلوم الإسلامية والمناهج التجريبية.

لذلك يمكن القول بأن العلوم التجريبية والإنسانية إذا كان التعامل معها منضبطاً بالضوابط الإسلامية مع دراية كافية فيها وفي العلوم الإسلامية المتعلقة بها ، فإنها تدرج تحت موضوعات يتعامل معها الفكر الإسلامي، ليس بذاتها بل بتعامل النصوص الشرعية مع نتائج تلك العلوم.

معالم الفكر الإسلامي :

يتميز منهج الفكر الإسلامي بقدرته على صياغة العقول وملء القلوب وبلورة الشخصيات وتعديل مسار كل من التزم بنهجه الوسطي الرائع الفريد..

و من أهم المعالم والضوابط التي يجب أن تسيرخلالها الحركة الفكرية الإسلامية الراشدة هي:

أولا : سمة الايمان:

وذلك بأن يكون إطار الإيمان هو الإطار الأكبر الذي يحيط بأساليب التفكير الإسلامي كي يكون راشدا وحتى يؤتي ثماره المأمولة ، فالمنهج الإسلامي قائم على **الإيمان الراسخ الثابت والعقيدة الصحيحة الشفافة الناصعة والعبودية المخلصة** ، وهذه الثلاثية هي المحدد الأساسي لصحة التفكير، فكل تفكير يدعو إلى زيادة الإيمان هو في سبيله إلى الصواب وكل تفكير جلب أو سعى إلى قلة الإيمان أو ضعفه أو اثر سلبا في قيمة العبودية أو لم يحفظ جناب العقيدة الصحيحة فقد حاد بعيدا عن مبتغى الإسلام ومطلبه المتفق عليه.

ومن هنا كان لزاماً على المفكرين الإسلاميين أن يحيوا فكرة الإيمان والعبودية في كتاباتهم وأن يجعلوها قاسما مشتركا في إبداعاتهم الفكرية أيا كان مستواها أو مجالها، فهي السمة العليا التي يتميز بها الفكر الإسلامي عن غيره من الطرق والأساليب الفكرية الأخرى. ومن هنا بقيت لنا أفكار المفكرين المسلمين المخلصين حتى الآن

منارات على الطريق إذ كانت الربانية هي إطارهم الفكري الأصيل الذي منه انطلقوا لمساحات رحبة من الإبداع والعطاء.

ثانياً: سمة العلم:

والمقصود بالعلمية كسمة من سمات التفكير الإسلامي الراشد :هي ما يتعلق بصفات العلم الحق الذي يقوم على الدليل الصحيح والبرهان المتيقن، والذي تقوم نتائجه على مقدمات صحيحة ثابتة.

إن التفكير العلمي المأمول هو الذي لا يعتمد على العاطفة كمحرك للسلوك ، ولا يقبل الارتجالية في العمل والأداء ، ولا بالانفعالية كطارئ غريب يشذ به عن الحكمة والثبات، كما إنه لا يعترف بمفاهيم التبرير والغفلة والأثرة والذاتية وغيرها كمفاهيم هدامة لطالما نخرت في جسد الأمة، والإسلام منها براء.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قائد يعتمد كل أسلوب ناجح يساعد في بناء الأمة ويشجع كل تفكير إيجابي يبني وينتصر. وقام أصحابه من بعده رضوان الله عليهم فجمعوا القرآن وحفظوا حدود الدولة الإسلامية وأمنوا ثغورها ونظموا أساليب حكمها ودونوا الدواوين وقسموا العطايا وأقاموا العدل والقسط، وتعتمد النظرة العلمية في الفكر الإسلامي على المنهج الموضوعي في التعامل مع المواقف والتصرفات بمعنى أنها تزن الحقائق وتقيم المواقف في ظل نظرة عادلة للسلبيات والإيجابيا ، كما إنها لا تكتفي بتوصيف الوقائع دون تحليلها بل تأمر بتحليل التصرفات ومعرفة دوافعها وتقييم المواقف – الكبيرة والصغيرة – ومعرفة دواعيها ومن ثم حسن تقييمها.

والعلمية تحتم على المفكر تقدير رأي المخالف واحترام تخصص المتخصص وعدم التعجل في الأحكام والقرارات إلا بعد دراسة متأنية وبحث مستفيض.

ثالثا : سمة الوسطية:

الوسطية سمة أصيلة في الفكر الإسلامي الراشد مستمدة من النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية المطهرة ، فأمتنا أمة وسط وديننا دين الوسطية والاعتدال. إنها سمة يجب أن تغلب على التفكير الإسلامي للحركة الإسلامية كي تنبذ كل فكر منحرف وكل تفكير مضطرب وترفض كل ذهنية شاردة أو متصلبة أو متطرفة. ونظرة الإسلام للوسطية تشمل نظرته للحياة والكون ونظرته للمجتمع و الناس ونظرته للأفكار والمناهج.

لقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر الذين بالغوا في العبادة واستقالوا عبادته صلى الله عليه وسلم وقال لهم: (إنني أنام وأقوم وأتزوج النساء وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتي فليس مني).

هذا المنهج يدعو المفكرين من أبناء الإسلام إلى تبني النهج الوسطي في التفكير الإسلامي المعتدل ، هذا التفكير المعتدل الذي ينبذ تكفير المجتمعات والمؤسسات، ويدع الحكم على الأشخاص والأفراد للعلماء الراسخين في الشريعة، والقضاة الشرعيين المختصين بذلك. هذا التفكير المعتدل الذي يقبل من المجتمع أصل إيمانه بلا إله إلا الله ويحكم عليه بظاهر أعماله ولا ينقب عن بواطنه ويذر دواخله لله سبحانه.هو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة واللامذهبية المنفرطة ، ووسط بين المسرفين في التفاؤل والمتجاهلين العوائق ، والمسرفين في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام.

ويجب على أصحاب الفكر الإسلامي الراشد أن يراعوا ويقدروا ظروف الناس وما يحيط بهم من مكائد وما يعتورهم من مخططات في كل اتجاه تحيد بهم عن دينهم وتضللهم السبيل وتلهيهم عن عبادة ربهم.

إن الأمة الإسلامية الآن في أمس الحاجة إلى داعية يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس ويريد لهم الخير والنصح، فهو لا يكف عن دعوته ولا يسأم من الرد والاعراض عنه؛ لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة وهو يعلم أن اعراضهم بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن إقناعهم وإرشادهم

رابعاً : سمة الواقعية:

من أهم سمات الفكر الإسلامي الراشد أن يكون واقعياً ، وتعني الواقعية هنا بعض النقاط الهامة منها:

1. **أن ينطلق من المقدور عليه ومن المتاح له ابتداء ، وألا يسبح في خيالات غير مقدورة يريد أن ينطلق منها وهو لايزال في موضعه لم يتعداه.**
2. **أن تقّدر الحركة الإسلامية قدراتها بأسلوب واقعي دقيق فلا تبالغ في تصور قدرتها ولا تستهين بفاعلية أفرادها، فهي تضع لهم برنامجهم بعد معرفة طاقاتهم بدقة ومن ثم فهي توظف كل الطاقات ولا تهمل أحدا وتضع الرجل المناسب في مكانه ولا تغتر باسم مشهور ولا بحديث معسول ولا بولاء ظاهر وإنما تقدر الإمكانات بتجرد كامل وواقعية حقيقية.**

إذن يجب التأكيد على خصوصية الفكر الإسلامي وأنه يقوم على:

الربانية: فالإيمان بالله الواحد هو المنطلق لكل النشاطات الفكرية والثقافية وغيرها.

العالمية: فالله رب العالمين، والإسلام دين لكل البشر وجنسه.

الإنسانية: فالإسلام كرم الإنسان، واحترم فطرته وحقوقه بعيداً عن معتقده.

الأخلاقية: فالأخلاق من غايات الرسالة قال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

الوسطية: فالإسلام وسط بين إفراط الأمم المختلفة وتفريطها، والفكر الإسلامي وسط بين الروح والمادة، والواقع والمثال، والفرد والجماعة.

التكامل: فالإسلام جاء متمماً لما قبله، مصححا للانحرافات ومؤكدا للصالحات، وقابلاً للحق من أي وعاء خرج

مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي
وما يتعلق به

التجديد لغة : من جعل الشيء القديم جديد اً ، وهو إعادة الشيء إلى سيرته الأولى (جدد الثوب تجديدا: صيره جديدا. وتجدد الشيء تجددا: صار جديدا، تقول: جدده فتجدد وأجده أي الثوب وجدده واستجده: صيره، أو لبسه جديدا فتجدد. والجديد نقيض البلى.

مفهوم التجديد في اصطلاح القدامى:

نحاول هنا الكشف عن مفهوم «التجديد» منذ وروده أوّل مرة في تاريخ الإسلام في النص النبوي الشريف حتى نهاية القرن العشرين، مروراً بجهود كل العلماء الذين قدّموا له تفسيراً أو تحديداً، وذلك إسهاماً منا في قضية أصبح من الضروري حلها عن طريق التقصيّ والتصنيف لإيجاد أرضيّة للتفاهم بين جميع المشتغلين في الفكر الإسلامي أو المنشغلين بقضاياه .

مفهوم «التجديد» عند علماء السلف: وأعني بالسلف هنا الصحابة رضي الله عنهم فما دونهم حتى الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى، ويمكن القول بناءً على ذلك أن مصطلح «التجديد» لم يكن طوال حقبة السلف مفهوماً يقوم الجدل حوله وفيه، ولم يكن الانقسام في تفسيره يؤدي إلى الانقسام إلى تيارات فكرية كبرى، مما يعني أنه كان يأخذ حيّزاً فرعياً هامشياً نسبةً إلى قضايا الأمة الأخرى، فلم يكن قط على النحو الذي نشهده اليوم، والذي أصبح الاختلاف فيه أساساً لتشكل تيارات ومذاهب فكرية برمتها.

هذه الهامشية لمصطلح التجديد عند السلف تفسّر لنا ثبات موقع مصطلح «التجديد» في «شروح» الحديث النبوي إجمالاً، ضمن ما يشرح عادة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان أفرد في أحايين قليلة بالشرح في بعض الرسائل الصغيرة، ولعل وجود مفردات ومصطلحات أكثر تعبيراً عن حاجات المجتمع الإسلامي والقضايا التي تشغله آنذاك مثل «الاجتهاد، الإحياء، .. الخ» أسهم كثيراً في عملية التهميش لدور هذا المصطلح (التجديد).

وهذا يجعلنا نقرر مطمئنين بأن مصطلح «التجديد» نفسه ما كان سَيرِدُ في كتب السلف أساساً لولا وروده في الحديث النبوي الشريف، على العكس مما هو عليه الحال اليوم، حيث لم يكن مصطلح «التجديد» مجرّد استنباط من النص النبوي أو استعارة منه.

إذا عدنا إلى الشروح لنرى كيف فهم السلف هذا المصطلح وشرحوه نجد أنفسنا أمام ثلاثة فهوم له، لا تشذّ عنها كل الشروح:

أولاً: الإحياء:

يظهر تفسير «التجديد» هنا بمعنى «إحياء ما اندرس من السنة» أو «إحياء الدين» عندما تكون تحديات العصر الكبرى، التي وُجد المفسّر فيها، من النوع الذي يهدد الكيان الإسلامي على مستوى عقائده ومجتمعاته وأخلاقياته وقيمه على نحو كلي، ولعل هذا التفسير هو أوّل ما وردنا عن التعريف بمفهوم هذا المصطلح في كل شروح السنة الشريفة، وهو قول الزهري رحمه الله (التابعي الجليل) الذي يفهم من وصفه للخليفة الراشدي عمر بن عبد العزيز بمجدد القرن الأول (انظر: ابن حجر العسقلاني، ص48)

وهو المعنى الذي تبناه ابن حجر فيما بعد حيث يقول: «في الحديث النبوي: ﴿إن الله تعالى ليبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها (رواه أبو داود بسند صحيح)﴾ ما يشير إلى أن المجدد المذكور يكون مجدّدًا عاماً في جميع ذلك العصر، وهذا ممكن في حق عمر بن عبد العزيز إلاّ أنه وإن لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم والعدل، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلاّ أن يُدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المئة الأولى .«على أن أمثال عمر بن عبد العزيز بفقهه وورعه كثيرون في زمانه؛ لكن هذا اللقب الذي منحه أو توسَّمه

الزهري فيه جاء بسبب ما فعله من إعادة الحياة للخلافة الإسلامية ومرافقها، التي ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه من بعده .

ونجد هذا أيضاً عند ابن الأثير، الذي ينحو بالتفسير نحو اتجاه آخر، وإن كان لا يخرج عن معنى «الإحياء»، فهو يرى أن «التجديد» إحياء الدين، ولكن من خلال حفظ المذاهب، إذ يقول: «فالأجدر أن يكون ذلك إشارةً إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس مئة سنة يجددون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها بمهتديهم وأئمتهم» (جامع الأصول، 321/11)، والإطار التاريخي لتفسير ابن الأثير هذا لمصطلح «التجديد» معروفة، وهو الحروب الصليبية التي كانت تدور رحاها آنذاك .

والملاحظ أن قول ابن شهاب الزهري السابق، لم يكن له صلة «بالمذهبية»، ذلك أن المذاهب لم تكن قد اكتملت بعد، «فلم يكن الناس مجتمعين على مذهب إمامٍ بعينه، ولم يكن قبل ذلك إلاّ المئة الأولى، وكان على رأسها من أولي الأمر: عمر بن عبد العزيز، ويكفي الأمة في هذه المائة وجوده خاصة، فإنه فعل في الإسلام ما ليس بخاف» كما يقول ابن الأثير نفسه، مبرراً تفسيره للتجديد بإحياء المذاهب، فهو ينظر إلى الإسلام على أنه قائم على المذاهب، وبالتالي فإحياء الدين ليس إلاّ إحياءً «للمذاهب المشهورة في الإسلام، التي عليها مدار المسلمين في أقطار الأرض» على حدّ تعبيره. وهكذا تظهر خلفية هذا التفسير في صورة أزمة اجتماعية وسياسية شاملة في آن واحد .

ثانياً: إزالة البدعة والعمل بالسنة:

يأخذ تفسير التجديد في بعض الأحيان منحى «فِرقيّاً»، فيظهر بوصفه موقفاً تجاه الفِرَق، التي أطلق عليها لقب «المبتدعة»، وهي تمثل كل ما عدا أهل السنة والجماعة، فقد يصبح التمذهب بالمذاهب الفقهيّة نفسه «بدعة» تكاد تصنف تصنيفاً اعتقادياً عند بعض المغالين. وبالتالي فإن إحدى سمات هذا التفسير أنه يحوّل ـ في بعض الأحيان ـ الفروع الفقهية من النظرة الفرعية العملية الاجتهادية إلى الإطار الاعتقادي. في كل الأحوال فإن أول

تفسير من هذا النوع وصلنا، هو تفسير الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، الذي بنى عليه اعتبار الإمام الشافعي مجدداً لأنه «يعلم الناس السنة، وينفي عن النبي صلى الله عليه وسلم الكذب» (ابن حجر، توالي التأسيس، ص48). وكان الإمام أحمد وقتذاك في أجواء تخيّم عليها «فتنة» المعتزلة، مترافقةً مع ظهور فرق متعددة.

وقد بدا هذا التفسير بشكلٍ و اضح في القرن الثالث الهجري، فقد نقل ابن حجر العسقلاني عن الحاكم قال: «سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول غير مرّة: سمعت شيخاً من أهل العلم يقول لأبي العباس بن سريج: أبشر أيها القاضي؛ فإن الله منَّ على المسلمين بعمر بن عبد العزيز على رأس المئة، فأظهر كلَّ سنّةٍ وأماتَ كل بدعةٍ، ومنَّ اللّه على رأس المئتين بالشافعي حتى أظهر السنة، وأخفى البدعة، ومنَّ الله على رأس الثلاثمائة بك» (توالي التأسيس: 49)، والظاهر أن كلام هذا الفقيه مبني على كلام الإمام أحمد الذي اعتبر الشافعي مجدد القرن الثاني، خصوصاً وأنه قريب العهد به. ولارتباطه بالعمل بالسنة في مقابل محو البدعة شاع هذا التفسير لدى المحدّثين (والمتكلمين بشكل أقل)، وما يزال قائماً بينهم إلى اليوم .

ثالثاً: الاجتهاد المذهبي:

الاجتهاد هنا، ليس الاجتهاد المفتوح أو «المطلق» حسب تعبير الأصوليين، بل هو الاجتهاد الفقهي الجزئي المذهبي، وها هنا يبدو أن مصطلح التجديد أخذ يخضع للتجاذب في إطار الصراع المذهبي الذي انفجر منذ القرن الثالث، حيث أخذت تتلبس نصرة الدين بنصرة المذهب، وإحياء المذهب بإحياء الدين، ومن ثم «ادعى كل قومٍ في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث» (فيض القدير: عبد الرؤوف المناوي، 282/2) ونسب الكلام إلى ابن كثير). وقد تكلم العلماء في تأويل الحديث الذي ورد فيه مصطلح التجديد «كل واحد في زمانه» أي حسب زمانه على حد تعبير ابن الأثير، «وأشاروا إلى القائم الذي يجدد للناس دينهم على رأس كل مئة سنة، وكأن كل قائل قد مال إلى مذهبه وحمل تأويل الحديث عليه» (ابن الأثير، جامع الأصول، 320/7)،

ويبدو موقف السيوطي ـ رحمه الله ـ من أكثر الشواهد وضوحاً على هذا الاتجاه في تحديد مدلول «التجديد»، فهو يرى أن «التجديد» يطابق معنى «الاجتهاد»، إذ يقول في قصيدته المشهورة «... عالماً يجدد دين الهدى لأنه مجتهد». وهكذا راح السيوطي يذكر أسماء المجددين، فكانوا كلهم من فقهاء الشافعية .!

هذه التفسيرات الثلاثة لمصطلح التجديد الوارد في النص النبوي استمرت على طول التراث الذي خلفه لنا السلف حتى عصر الإمام الشوكاني (1250هـ)، بحكم ثبات المشكلات والتحديات التي كانت تواجههم .

ومن المهم التأكيد هنا على أن تفسير مصطلح «التجديد» وتقديم مفهوم له، كان مرتبطاً دوماً بطبيعة التحديات التاريخية التي كانت تواجه المسلمين كأمة ووجود، وكل عصر ينفرد بخصوصياته. وهذا ما جعل مصطلح «التجديد» يتخذ في الفكر الإسلامي المعاصر تفسيرات مختلفة.

ونؤكد أيضاً مرة أخرى على أن مصطلح «التجديد» لم يكن ليرد في تراث السلف الصالح برمته لولا وروده في النص النبوي، وبالتالي كان طبيعياً مع وجود بدائل اصطلاحيّة أن يبقى مصطلح «التجديد» الشرعي محدود التداول، ومتركزاً بشكل كلي في شروح الحديث الشريف. غير أن هذا الموقع (موقع الشروح) الذي ظل فيه «المصطلح» ثابتاً طيلة القرون الطويلة جعل تحليل النص النبوي الذي ورد فيه المصطلح، يتخذ في بعض الأحيان صبغة حرفيّة، إلى الدرجة التي قيل فيها مثلاً: «إن من كان على آخر المئة ولم يبعد بعد انقضائها، بل مات قبل المئة الجديدة بخمسة أيام مثلاً، لا يكون مجدداً». بل قد تنازع البعض في المقصود بالتاريخ (رأس كل مئة سنة) هل هو آخر السنة أم أوّلها؟

وقد ولّدت هذه الحرفية آراءً طريفة، كاعتبار بعض الشارحين أن بعض أتباع المالكية، والحنابلة، والحنفية من المجددين، ولا يعتبر أئمتهم مالك وأحمد وأبو حنيفة ـ رحمهم الله أجمعين ـ مجددين. (لأنهم توفوا في منتصف

القرن أو قبل رأسه! وتتأكد هذه الحرفية في قول للسيوطي في «مرقاة الصعود» إنه (قد يكون في أثناء المئة من هو أفضل من المجدد على رأسها).

على أن هذا يمثل فئة قليلة من المتأخرين، ولا يعبر عن تراث السلف بكامله. ذلك أن السلف كانوا يرون في وصف «المجدد» ميزة تشير إلى بصمات مؤثرة في تاريخ الأمّة، وليس مجرد لقب فخري.

التجديد في اصطلاح المعاصرين:

أصبح مصطلح «التجديد» من أكثر المصطلحات إثارةً وشيوعاً في الفكر الإسلامي المعاصر، وأعني بالمعاصر هنا كل التيارات الراهنة دون استثناء، وفي الوقت نفسه يثير حساسية بالغة في بعض الأوساط نتيجة لسوء استخدامه والتلاعب بالدين تحت عباءته.

وبالرغم من كل ما تعرض له المصطلح من شروح أو اعتراضات أو انتقادات أو تفسيرات بقي مصطلح «التجديد» غير واضح، يختلف مفهومه من كاتب إلى آخر، ومن مفكرٍ إلى مفكرٍ آخر، وهكذا أصبح من العسير الإمساك بمعنى واحد له. وربما يجد البعض في هذه الضبابية ميزة للمصطلح. لكن في كل الأحوال يبقى لعدم الوضوح دور سلبي يتمثل في انقطاع التواصل واستمرار الصراع والخلاف.

التجديد له مفهومان: مفهوم شرعي دعا إليه الإسلام وطلب من المسلمين أن يباشروه وأن يسعوا إلى تحقيقه بضوابطه وشروطه، ومفهوم آخر اتخذه بعض المغرضين وسيلة للنيل من الإسلام ودس السم في العسل - كما يقال-

فالتجديد في الاصطلاح الشرعي المضبوط، الذي شرع في الإسلام وحث الإسلام عليه ودعا إليه :(**إحياء ما أندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة**).

وأما التجديد بالمفهوم الآخر: فمعناه الانقضاض على أصول الدين وثوابته وكلياته، وهدمها وبناؤها بناءً جديداً، بنفسية المهزوم.. لموافقة ما تدعوا إليه الحضارات المسيطرة على الإسلام والمسلمين، بمعنى أن الإسلام صار بالياً وقديماً فلا بد من إيجاد مفاهيم وقواعد وأحكام جديدة في الدين بحيث تتناسب وتتماشى مع الحضارة العالمية الغربية المعاصرة التي فيها العلو والاستكبار والهزيمة والذل للمسلمين،

فإذاً شتان بين نوعي التجديد فالأول تجديد للبناء والثاني تجديد للهدم والإزالة.

والأصل في مشروعية التجديد قول النبي (صلى الله عليه وسلم) "**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**" (سنن أبى داود، والحاكم فى المستدرك)

فالتجديد الوارد في الحديث هو تجديد لفروع الدين(التي مصدرها النصوص الظنية الورود والدلالة) مقيداً بأصوله(التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة) . ويترتب على هذا أن التجديد المذكور في الحديث لا ينطبق على الوقوف عند أصول الدين وفروعه، ولا رفض أصول الدين وفروعه.

ضوابط تجديد الفكر الإسلامي

إذا كان الفكر الإسلامي يقبل التجديد من حيث الجملة، إلا أن هذا القبول ليس مطلقاً، فمنه ما يقبل التجديد ومنه ما لا يقبله، والقسم الذي يقبل التجديد له شروط وضوابط وبيان ذلك فيما يلي:

دائرة التجديد فى الفكر الإسلامي

إن تحديد ما يقبل التجديد في الفكر الإسلامي في دائرة محددة أمر في غاية الأهمية حفاظاً على ديننا من عبث العابثين، والمتربصين به الساعين إلى نقض عراه بمعاول فكرهم، والجاهلين الذين يفسدون ويحسبون أنهم مصلحون.

إن أول خطوة في تحديد دائرة ما يقبل التجديد في الفكر الإسلامي هو بيان المقصود بالفكر الإسلامي، وقد سبق أن أوضحنا أنه ليس كل ما جاء به الإسلام من تصورات وأحكام يعتبر فكراً، لأن الفكر هو عمل عقلي محض يختص بالإنسان، وهذه التصورات والأحكام لا دخل للإنسان فيها، وانما جاءت من الله العليم الحكيم، وواجب المسلم تجاهها التسليم والإذعان. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينا ﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 36)

وبناء على ذلك فلا يعتبر من الفكر الأمور التالية:

1. ما أخبرنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية بنصوص صحيحة صريحة لا تحتمل التأول ولا مجال للاجتهاد فيها، كالاخبارات المتعلقة بذاته العلية، وأصل خلق الإنسان والجن والملائكة والبعث والحساب والجزاء ووجود الجنة والنار وصفتهما .ومن الأمور الغيبية الأمور المشاهدة التي غابت عنا بسبب تقدمها في الزمن كالإخبارات عن الأنبياء والرسل وقصصهم مع أقوامهم.
2. ما أخبرنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم من أحكام شرعية بنصوص صحيحة صريحة لا تحتمل التأويل ولا مجال للاجتهاد فيها، كالأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات وأصول المعاملات والنكاح والطلاق وقسمة التركات.

فالمقصود إذن بالفكر الإسلامي هو :الآراء والاجتهادات التي قدمها علماء الإسلام في مختلف العلوم منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلى يومنا هذا.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي

إن أشد ما نحتاج إليه اليوم هو وضع ضوابط للتجديد في الفكر الإسلامي ذلك أن الآراء والأفكار ترد على الأمة الإسلامية من جميع الحضارات وخاصة الحضارة الغربية الحديثة التي هي محل إعجاب الغالبية العظمى

من المسلمين، وقد سهل سرعة وصول أفكار الحضارات الأخرى وانتشارها في المجتمعات الإسلامية ثورة الاتصالات والمعلومات التي يعيشها العالم الحديث من خلال القنوات الفضائية والإنترنت وطرق الاتصال اللاسلكى. وهذه الأفكار الواردة تختلف عن الفكر الإسلامي من حيث منطلقاتها وأهدافها، فهي تنطلق من مبدأ علماني يعزل الدين عن الحياة، وتهدف إلى توفير الرفاهية والحرية المطلقة للفرد .فكان لابد من وضع ضوابط تغربل هذه الأفكار التي يتبناها بعض المسلمين لتجديد فكرنا الإسلامي .وأيضا فإن هذه الضوابط تميز لنا ما يقدمه لنا مفكرونا من آراء تجديدية من خالص فكرهم، فنعرف من خلالها ما يتفق ومبادىء شريعتنا وما يخالفها، إذ أن العقل لا حدود له فهو يتصور المستحيلات ويجمع بين المتناقضات.

إن هذه الضوابط هي التي تحفظ فكرنا التجديدي من الفوضى الفكرية التي قد تكون سبباً لنشوء النزاعات وهدم المجتمعات.

أهم ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي ما يلي:

1. **إن التجديد لا يطال بحال أصول الشريعة، بل يقتصر على فقه الشريعة واليات فهمها، ولهذا فإن التجديد ليس تجديداً للدين وخروجاً عنه أو تجاوزاً له، بل هو مجرّد الاستجابة الطبيعية لحاجات التديّن في عصر متجدّد وظروف حادثة،**
2. **التمييز بين الأصول والفروع : موقف التجديد الإسلامي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمييز بين الأصول والفروع، ذلك أن التجديد في الاصطلاح الشرعي هو اجتهاد في فروع الدين المتغيرة، مقيد (محدود) بأصوله الثابتة، عند الحديث عن المعنى الاصطلاحي للتجديد.**
3. **ألا يؤدى الفكر التجديدي إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الإخلال بها، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة**

التغابن: الآية 12). وغير ذلك من الآيات والأحاديث الداعية إلى طاعة الله تعالى ورسوله. فأي فكر يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له، كالفكر الذى يبيح الربا.

4. **ألا يكون الفكر التجديدي فكراً صرح العلماء برده وعدم اعتباره، فلا اعتبار لفكر تجديدي يتبنى آراءً مردودة مثل من يقول إن العقل هو الذي يحسن ويقبح ويوجب ويحرم.**

5. **أن يراعى الفكر التجديدي القواعد العامة في الإفتاء:**

أ. **فلا يجوز أن يتتبع الفكر التجديدي رخص المذاهب وزلل العلماء قال الأوزاعي: "من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام". ونقصد برخص المذاهب: هو الأخذ بالأهون والأسهل من كل مذهب وان كان دليله ضعيفاً.**

ب. **ألا يكون الفكر التجديدي ملفقاً بين المذاهب، والمراد بالتلفيق بين المذاهب أخذ صحة الفعل من مذهبين معاً بعد الحكم ببطلانه على كل واحد منهما بمفرده في المسألة الواحدة، كالنكاح بلا ولى ولا شهود، فإن النكاح بلا ولي صحيح عند الحنفية، والنكاح بلا شهود صحيح عند المالكية، فإن صحة النكاح حينئذ ملفقة من المذهبين معا لكنه باطل عند كل مذهب على حدة.**

ت. **ألا يكون الفكر التجديدي مستمداً من الآراء الشاذة في المذاهب والمقصود بالشاذ هنا ما كان مقابل المشهور أو الراجح أو الصحيح في المذهب، لأن العلماء متفقون على عدم جواز الإفتاء بالشاذ إلا أن يكون المفتي (المجدد) مجتهداً في المذهب فيعمل حينئذ بما يراه أرجح أو أصح في نظره لقوة دليله ولو كان هذا الرأي شاذا.**

شروط المجدد:

1. **ألا يكون المجدد من فرقة ضالة منحرفة، لأنه سيجدد على ضوء انحرافه وابتعاده عن الدين فربما أصاب الدين بالفساد والانحراف تبعاً لتصرفاته وعقيدته المنحرفة.**

2. **أن يكون لدى المجدد من العلم الشرعي الحد الكافي، وبعض أهل العلم اشترط أن يكون مجتهداً ويمكن أن يضبط هذا الشرط ويقال: إن كان التجديد كليا فيجب أن يكون الشخص المجدد مجتهداً مطلقاً وان كان التجديد جزئياً فيكفي أن يكون المجدد مجتهداً في المسألة والقضية التي سيجدد فيها.**
3. **أن يكون المجدد صاحب همة عالية: كما مر في الحديث " إن الله يبعث... " فكلمة يبعث يدل على أن المجدد ليس كسولا ولا خاملا ولا صاحب مصالح دنيوية دنيئة، بل هو صاحب همة عالية وإرادة وعزيمة قوية يسهر الليل ويتعب في النهار ويحقق في المسائل ويبذل جهده وماله ووقته من أجل أن يجدد شيئاً من دين هذه الأمة فهو صاحب نشاط وعمل وحيوية وابتكار وابداع.**

هذه الشروط التي اتفق عليها العلماء لتكون من شروط المجدد، وهناك شروط مختلف فيما بين أهل العلم.

ضرورة التجديد المنضبط في الفكر الإسلامي:

إن الدعوة إلى التجديد ضرورة تدعو إليها جملة من الأمور منها:

1. **إن التجديد والابتكار هما ركنا التطور، إذ التطور لا يأتي من فراغ وانما هو نتيجة لدراسة الآراء والأفكار وأخذ الصالح المفيد منها مع إضافة رؤى أخرى عليها فيتولد من ذلك فكر نير تسترشد به الأمة في مسيرتها.**
2. **إن التجديد كما هو مطلب اجتماعي هو كذلك مطلب عقلي، إذ ليس من العدل والإنصاف أن نطلب من أحد أن يأخذ بفكر من سبقه من غير مناقشة أو إبداء رأي خاصة إذا كان أهلا لذلك. وما ذلك إلا تعطيل لوظيفة العقل. وما زال علماؤنا يناقشون آراء من تقدمهم فتارة يؤيدونها وتارة يردونها وتارة ثالثة يضيفون إليها، ولم يعب أحد عليهم هذا الصنيع وكل ذلك يتم بحثاً عن الحق والحقيقة.**

3. **إن الإنسان منذ فجر التاريخ والى يومنا هذا يعيش في تطور مستمر في جميع أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.. وهذا أمر محسوس ملموس لا يحتاج إلى دليل لإثباته. إن هذا التطور في الحياة يجب أن يواكبه فكر متجدد ينبع عن رؤية لقضايا الإنسان واهتمامه. إن الإنسان مهما بلغ مقدار التطور في حياته فإنه يحتاج إلى جنب ذلك التطور فكرا يُشبع عقله وروحه، وكلما كان الفكر متجدداً متوافقا مع النهضة التي يعيشها المجتمع كلما كان الإشباع أكمل مما يعكس أثراً إيجابياً على حيوية المجتمع ونشاطه. والفكر الإسلامي يواكب تطور الحياة فمن القواعد الفقهية المقررة أن الأحكام الشرعية التي وضعها المجتهد بناء على ما كان في عرفه وزمانه فإنها تتغير بتغير الزمن والعرف.**

4. **إن الإنسان كائن حي له حاجات متعددة، وهذه الحاجات تختلف من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، ومهمة الفكر الأساسية هي تلبية حاجة الإنسان، وهي مقياس نجاحه، فكلما كان الفكر ملبياً لحاجة الإنسان المشروعة كلما كان فكراً ناجحاً، والعكس بالعكس. ويمثل فقه الضرورة في الفكر الإسلامي تطبيقاً عمليا لتلبية ضرورات الإنسان وحاجاته.**

5. **ما من مجتمع على وجه الأرض إلا وله مشكلاته المختلفة، والفكر النافع هو الفكر الذي يقدم حلولاً لمشكلات مجتمعه، ولاشك أن المشكلات تتجدد بتطور المجتمع، فتظهر مشكلات لم تكن موجودة من قبل فيستلزم ذلك فكراً جديداً أو متجدداً لحل هذه المشكلات كما أن حاجتنا إلى التجديد تظهر جلية في إيجاد البدائل للأفكار التي يطرحها الفكر الغربي والتي تتعارض مع الشريعة الإسلامية. وقد خطا الفكر الإسلامي في مجال الاقتصاد خطوات عديدة إذ قدم بديلاً للبنوك الربوية يقوم على أساس إسلامي، وقد طبق في كثير من البلاد الإسلامية وأثبت نجاحه وفاعليته.**

6. **إن رفض الجمود والتقليد إنما يضع العقل المسلم أمام خيار وحيد، هو الخيار التجديدي. وهذا التجديد الذي يجمع بين سلفية العودة للمنابع والأصول الإسلامية، وبين عصرية فقه الواقع المعيش واستشراف المستقبل، هو – في النسق الفكري الإسلامي– أكثر من مجرد (خيار) لأنه ضرورة إسلامية اقتضاها ويقتضيها كون الشريعة الإسلامية هي الشريعة العالمية، والخاتمة، إذ بدون التجديد الذي يحافظ على الثوابت كي لا تحدث قطيعة معرفية مع الأصول والمقاصد تفقدُ الجديد إسلاميته.. والذي يُجدد في الفروع وفقه الواقع كي تمتد فروع الشريعة فتظل كل الفضاءات التي يصل إليها الإسلام، وكي تقدم هذه الشريعة الحلول للقرون والأجيال التي تلت وتتلو عصر الوحي والتنزيل، فبدون هذا التجديد لا تتمكن الشريعة الإسلامية من أن تكون عالمية حقاً ولا خاتمة حقاً، أي أن التجديد هو السبيل لتحقيق إرادة الله من أن تكون شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي العالمية وأن تظل حجة الله على عباده قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.**

الفرق بين التجديد وبعض المصطلحات ذات الصلة به

أولا: الفرق بين التجديد والاجتهاد.

من أهم الخصائص التي تميز الشريعة الإسلامية عن غيرها، خاصية المرونة والشمول وصلاحيتها لكل زمان ومكان، والهدف منها مواكبة الأحداث والوقائع التي لا تنحصر، وتتجدد بتجدد الزمان والمكان، ففتح الإسلام باب الاجتهاد أمام العلماء في المسائل التي لم يذكر فيها نص شرعي قطعي، قصد تجديد هذا الدين والتصدي لجميع النوازل والقضايا المستجدة ببيان حكمها الشرعي، فالعلاقة إذا بينهما هي علاقة تكامل وترابط وتوافق.

انطلقت غالبية النصوص التي ادعت التجديد داخل الحقل الإسلامي من الحديث الشريف الذي ينص "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها" أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح. وبدأت الكتب التي بنت نصها وفقاً لهذا الحديث في وقتٍ مبكر نسبياً، ففي القرن العاشر الهجري كتب جلال الدين السيوطي (ت/911 هـ) كتابه التنبأة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة سنة وضمته قصيدته الشهيرة تحفة المهتدين بأخبار المجددين وأخذ يعدد في قصيدته هذه أسماء المجددين على رأس كل مائة سنة، ثم تبعه المراغي المالكي الجرجاوي فكتب بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين للسيوطي واعتمد عليهما لاحقاً أمين الخولي في كتابه المجددون في الإسلام كما ذكر ذلك في مطلع كتابه السابق الذكر.

إن السيوطي كان يفهم التجديد بمعنى الاجتهاد، إذ كلا المصطلحين يدلان على مفهومٍ واحد لديه، وهذا ما نلاحظه واضحاً في كتابه الشهير الردّ على من أخلد الى الأرض وجهلَ أن الاجتهاد في كل عصرٍ فرض اذ يقول "إن الذي ينبغي ان يكون المبعوث على رأس المائة هو رجلٌ واحدٌ مشار اليه في كل فنٍ من هذه الفنون وهو المجتهد" وإذا كنا لا نجد عموماً كبير فرقٍ بين مصطلحي الاجتهاد والتجديد على مدى التراث الاسلامي، إذ يستخدم الأول ليشير الى الثاني وبالعكس، فإن مصطلح التجديد نفسه لم يكن ليظهر أو ليستخدم لولا وجوده في نص الحديث النبوي".

ولكن مع هذا فإنّ هناك فرقاً بين المصطلحين ويتضح ذلك من خلال تعريفهما:

الاجتهاد: (استفراغ وسع المجتهد وبذل جهده في تحصيل حكم ظنّي)، وهو دليل على حيوية الفقه وجاهزيته في مواجهة النوازل، وهو من السنن النبوية التي ندب إليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى عُدّ من فروض الكفاية، ودرّب النبي صلى الله عليه وسلم عليها أصحابه فاجتهدوا في حياته، والدليل: موقفه صلى الله عليه واله وسلم منهم يوم بني قريظة اذ قال لهم: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدركهم وقت العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي ولم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعنّف واحدة من الطائفتين.

كما اجتهدوا بعد مماته: فجمعوا القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، واجتهد أبو بكر في قتال المرتدين، واجتهد عمر في تحقيق مناط كثير من الأحكام، كعدم إعطاء المؤلفة قلوبهم من سهم الصدقة، ووقف العمل بعقوبة حدّ السرقة عام المجاعة، وغيرها كثير. كما اجتهد عثمان وعلي وجمع من الصحابة، واجتهد بعدهم التابعون والأئمة الأربعة ومن بعدهم، واستمر الاجتهاد إلى يومنا هذا... وكان ذلك كله ضمن منهجية علمية اعتمدت على اللغة في تفسير النصوص وعلى النصوص والحوادث وأماكن وأسباب نزولها والنظر في المقاصد، وهو دليل – كما ذكرنا- على حيوية الفقه وقدرته على مجاراة الحياة في ناحية تشريع الأحكام في ما لا نص فيه بالاعتماد على الأصول.

وأما التجديد، فهو إحياء حياة الأمة كاملة وتجديدها وفي جميع المناحي وعلى جميع الأصعدة، فيبعثها من جديد، من خلال العودة بها إلى أصولها، فينفض الغبار عنها ويدفعها إلى مقدمة الركب، وقيادة الأمم.

وأول المجددين برأي كثير من المتابعين لقضايا التجديد وتاريخه هو: الخليفة الراشد الخامس كما وصفه الشافعي: عمر بن عبد العزيز، فجاء على رأس المائة الهجرية الأولى، فنظر فإذا بالأبدان قد دب بها السمن، وإذا

بالقصور وقد ترعت بالترف، وإذا بالظلم والاستبداد وقد بدأ بمدّ جذوره ويحاول الاستواء على سوقه، وإذا بالفتن تتنفس، وإذا بولاة الأمور وأعوانهم قد قعدوا للشعر والإماء وجمع المال وبناء القصور إلا من رحم الله، فقام "بثورة" شاملة في المجال الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، ولم يقتصر في تجديده على الفقه أو الاجتهاد فيه، فدعى إلى الزهد بحاله قبل مقاله، فأقام الدين وجدّد ما خلِق منه بالزمن في قلوب الناس، وأحيى السنن ودونها بعد غربلة شاملة نفى بها الغلو والتهاون عنها، وحكّم الشريعة في سياسته، ونشر العدل، فاتسعت الفتوحات حتى وصلت جيوش الإسلام سمرقند، فاطمأن الناس وأمنوا، وانتعش الاقتصاد واتسعت التجارة.... وما هي إلا عامان ونيف، وإذا بالناس يتنفسون أجواء الخلافة الراشدة الأولى، وإذا بالمال يكثر حتى لا يجد صاحب الزكاة من يأخذ عنه زكاته.... ولو سمح المقام لأفضت في سيرة هذا المجدد العظيم رحمه الله ورضي عنه.

ثانياً: الفرق بين التجديد والحداثة:

لا مشاحة في المصطلحات، فالمصطلح كالوعاء، يستخدمه كل إنسان من أية ثقافة أو حضارة أو دين، لكن هناك مشاحة في المفهوم والمضمون والمحتوى للمصطلح، وفق تمايز واختلاف الثقافات والحضارات،

فالتجديد: هو البعث والإحياء لثوابت الدين وأصوله، مع التطور في فقه الفروع، مواكبة لمستجد الواقع المعين، وحفاظا - في ذات الوقت - على صلاح وصلاحيات الثوابت والأصول الدينية لكل زمان ومكان.. فثوابت "الأصالة" - في التجديد - هي ثوابت "المعاصرة"، ولذلك، كان لكل معاصرة أصالتها، ولكل أصالة معاصرتها.

أما الحداثة: فإنها القطيعة المعرفية الكبرى مع الموروث، ومع الموروث الديني على وجه الخصوص، فهي الثقافة المتحورة حول الإنسان - بدلا من الله - والتي تنسخ النقل والوحي بإنكاره وجحوده، أو بالتأويل الذي يفرغه من محتواه، والذي يجعل الإلهي إنسانيا، والميتافيزيقي فيزيقيا، وما وراء الطبيعة طبيعيا، إنها - (الحداثة) - النزعة "التاريخانية" التي تحيل معاني الوحي وأحكامه إلى مستودع التاريخ، والتي تحل "الدين الطبيعي" - القائم على العقل والعلم - محل الدين الإلهي - القائم على الوحي والعقل -، إنها نزعة "موت المؤلف" التي تجعل قارئ النص الديني هو مؤلفه، الذي يرى فيه ما يرى، وليس الباحث عن مراد الله في هذا النص الديني، إنها النزعة التي ترى الإنسان سيد الكون، ونزعة إحلال العقل محل النقل، وجميعها نزعات ينكرها التجديد الإسلامي، الذي يلتزم الثوابت، ويجدد في المتغيرات، والذي يرى الإنسان سيدا في الكون، وعبدا لسيد الكون، والذي يجمع بين العقل والنقل، دون أن يحل أحدهما محل الآخر، ويرى في معاني الوحي مراد الله، لا تأليف القراء المتأولين للنص الديني.

وعندما جاءتنا هذه الحداثة الغربية - مع الغزو الفكري - نقلت إلينا - ضمن ما نقلت - نزعة "أنسنة الدين" أي جعله إفرازا بشريا، وليس وحيا ووضعا إلهيا.